وهـــج

شــعر

حزيـن عمــر



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

وهج
(شعر)
حزين عمر

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د . سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

وهــج

اسم العمل الفنى : بورتريه (تفصيل)

محمود سعيد (١٨٩٧ - ١٩٦٤)

رائد التصوير الأول فى الحركة الفنية المصرية الحديثة التى بدأت أول القرن العشرين . مصور حاذق لايهتم كثيرا بالنسيج المساحى ، بقدر ما تعنيه الستاره الناعمه الضوئية للّون فى العنصر المرسوم ، ذا فردانية وعذوبة وعافية، جعلته متقبلا على أوسع نطاق بين النخبة المثقفة ، وعامة المتذوقين والمشاهدين على السواء .

وقد طرق محمود سعيد كافة الموضوعات دون أن يخالجة التردد ، فقدم عارياته من بين أنماط المصريات البلديات ذوات الشفاه الغليظة، والخدود المستديرة ، والصدر الملئ ، والأفخاذ المكتنزه ، بنفس القدر الذى دعاه إلى رسم المراكب ذات الأشرعة على نهر النيل ، وكذلك جماعات المصلين الذين أسدل فوق ظهورهم ستائر الخشوع الصوفى حين اختار للوحته الشهيرة تلك ضوءها الدافى المعتم . وسوف يظل من الصعب على المدقق الواعى أن يرى محمود سعيد باعتباره فنانا وصفيا تقليدياً ، إذ أن تصاويره أمكن لها أن تجتاز الزمن حين فجرت القراءات الجديدة المتوالية ينابيعاً فى الحداثة جعلتها تحتل مكانا بارزا لايمحى فى حركة الفن المصرى الحديث جميعه.

أحمد فؤاد سليم

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

حَـرَامٌ..!!

النهرُ دفّاقٌ أمامَ المقْلتينِ

أمواجٌ من النسْوانِ

رَوّاحٌ وغدّاءٌ

وذهني جامدٌ صدئٌ

مغلّقةٌ ثناياهُ

بأقفالِ ظلاميهْ

وقلبى كلما بَصَّ

من العينينِ

يستكشفْ،

ويستنشقْ،

ويستدفى بحلمِ قصيدةٍ تصدحْ،

أطلَّ إليه من أذنى، ومن أنفى، ومن فوقى،

ومن تحتى غبارٌ أسودُ الملمسْ .

يقول:

حرامٌ.. قد تزوجتَ!!!

١٩٩٧/٩/٢٦

البنــت...

البنتُ النارُ تَمُدُّ يدين
تشدُّ الشّعْرَ من الروحِ
ومن أركان فؤادٍ جفَّ
وأضحى أوراقاً ناشفةً
يبصقُ فيها الريحُ
ينام عليها الهمُّ
يمدّدُ رجليه اليأسُ
من الأيامِ، من الأحلامِ
من الجدوى..

* * *

البنتُ الحُلْمُ
تحبُّ الشّعْرَ

كما كنتُ

تطلقُ طلقاتِ الثغرِ الجمرِ

تجاه القلب، وتُحكم تصويب

العينين على عمقى

وأنا عمقى خَربٌ خَربٌ

منذ زمانٍ لا أذكره

لكن أذكر كيف يكون

خرابُ العرشِ الشعرىّ

هَدْمُ العِمدان وسقفَ البيتِ

فلا يبقى للشعر شعورٌ أو حِسٌّ أو خبر

غير الذكرِ بكُتْبٍ أربع

لن أفعلَهَا بعد اليوم

* * *

البنتُ الحُلْوةُ تتغزل

فى صمتى الداكنِ، فى شعرى

المصفرِّ الصامتِ بالورقِ

ينثال هواها المخضرُّ

فى ورقٍ أخضرَ

من قلبٍ كهواها أخضر
ولفافاتٍ خضرٍ جدا
كجناح العصفورِ الهائمِ فى الفردوس الأعلى وحدهْ
والصمتُ - إذا صمتتْ برههْ -
ناقوسٌ من عشقٍ صافٍ
لم أعرفه قبل اليوم
ولا حلُمتْ أيامٌ بهْ
والقولُ - إذا تنطق حرفاً -
أنسامُ رحيقٍ، أغرودهْ
من زرزور سبّحَ ربهْ
كلّ صباحْ
قدّسَ فى مقلاتِ البنتِ وداعةَ جفنٍ
وسذاجة لمسات يديها
وهى تَمُدُّ تشدُّ الشَّعْرَ
بأعماقى
فيعزُّ الشَّعْرُ على البنتِ
ويخاف الشعرُ الجمرَ الرابضَ فى الثغرِ
وينام الشّعرُ الدهرَ جميعا

منتظراً أن يبدع فيها شيئاً
غيرَ قصائدِ عُشّاقِ المشرقِ
وقصائد عشاقِ المغربِ
شيئاً يعلو قَدْرَ سموٍّ براءتها
وسذاجتهاَ
وتدفق نغمات الصمت على فمها
وشقاوةِ نهدين احترقا
بالعشق الخلاّقِ المارد
أوّلَ مرهْ!!

* * *

شـــتات..

ما كاد حُلْمٌ يرتدى ثوبَ العروسِ
تُزَفُّ لى
وتخيطُ أفراحى فساتينَ ابتسامْ
حتى تمزَّقَ ذلك العُرْسُ، العروسُ،
الصبحُ، فستانُ الضياء،
وبذلةٌ بيضاءُ لا شيةٌ بها
أعددتُ كلَّ خيوطِها عِرْقاً فعِرْقاً
ومضةً فى ومضةٍ
وتَلَبَّسَتْنى ساعةً، بل لحظةً
حتى انفجرتُ، تفجرَّتْ
طارت أكاذيبُ الصباحِ: الحُلْم

عصفوراً يطارده الجَرَبْ!!

* * *

الفَرْحُ، لونَ الفرْحِ

كنتُ ظننتهُ مجدافَ عشقٍ

فى لُجَاجِ الصمتِ

فى غَسَقِ انتظارٍ

ليس تخبو ظلمتهْ

فى وَحْدَتى العمياءِ

كنتُ أقودها

وألفُّها حول ابتساماتى فتخنقها

وحول المقلتين

الفَرْحُ كنتُ ظننتهُ مجدافَ عشقٍ

فانكسرْ

فى عمقِ هذا اللُّجِ يخذلنى

ويدفعنى إلى الأمواجِ مجروحاً

شظايا.. كيف أجمعها..

وما عادت سوى لغطٍ وأكذوبهْ؟!

* * *

فلو ثبتت بأقدامی ثنايا البرّ
والتصقتْ بأعضائی، وشدّتنی إلی طينی
إلی جميزتی، نخلی، وأعنابی..
ولو نادتنی: يا أنتَ.. حذارِ
الموجُ غالبُكَ
ولن تقوی بمجدافٍ من القشّ الذی يلمعْ!!
وليس البحر من ثوبكْ
ولا أنتَ الصديقُ لملحهِ الدموی
ولستَ تهادنُ الأمواجَ
والحيتانَ والظُلمهْ!!

فلو نادت، ولو قالت
لكنتُ الآن فی مأمنْ
من الوحدهْ
عن الغربهْ
وكنتُ الآن فی مأمنْ
من الوهمِ
عن الأكذوبةِ الكبری

* * *

فها أنتَ الذى أنِفَ الظلال، النخلَ،

والصفصافَ

منفىٌّ بغبشةِ يمِّكَ الأبدىِّ

لا تسبحْ

ولا ترجعْ

ولا تغرقْ

ولا حتى الصراخُ بدا

سوى خيطٍ من اللونِ الرمادىِّ

ونصفٌ منكَ فى الماضى يعذبكَ

بأنك كنتَ إنساناً، وغرِّيدا

وحُرّاً فى عذاباتكْ

جميلاً فى تشرُّدكَ

نبياً فى خطاياكَ

وفى غزواتكَ الحمراءِ

لا ترويكَ من ظمأ

فتطفئُ غزوةٌ أخرى

وكم غرقت نساؤك فيكَ فانتعشتْ

وغرفتْ كلُّ فاتنةٍ من الأنهارِ ما غرفتْ

وفى نيرانكَ استعرتْ

فأنتَ جحيمها الأبيضْ

يروِّيها بلا مَنٍّ

فسبحان الذى يعطى..

وشكراً للذى سكرتْ به النسوانُ

ما سكرتْ

فهل أنتَ الذى كنتَ؟!!

* * *

ونصفٌ منكَ مطوىٌ

كطى الغيب محجوب

كشىءٍ لم تَجُدْ لغةٌ بتسميتهْ

فلا عبرتْ خطاكَ هناك تطلبهُ

ولا جادت لك الأيام بالقاربْ

وبالمجداف والمرسى

فقل لى الآن يا هذا.. فقل لى الآن: من أنتَ؟!!

* * *

١٩٩٧/٥/٢٢

امــــرأة!!

حين طقّتْ طلقةٌ

من حارسِ الأمنِ الأمينْ

ثم استقرتْ فى خلايا غفلتى

كانت فتاتى نائمهْ

فى حضن أتقى الأصدقاءِ

أحبّهم نحو الفؤادِ!!

على سريرى نفسِهِ

وقد ارتدى جلبابى البُنىَّ،

قبقابى، وشورتى

والمخدةُ لوثتها شهوتُهْ!!

أما هى

فقد ارتدتْ
ـ مُذْ أن رأتْهُ ـ عُرْيَها!!
لبستْ ثياباً شائههْ
نَجسَهْ
تُسمَّى:
إمرأهْ!!!

* * *

١٩٩١/٦/٢١

فــــراغ...

نباحٌ، بياداتٌ، مشانقْ

خمرٌ، عراءٌ، رايةُ الأعداءِ،

تجريدهْ

هذه مِنَحُ «النظام» إلى الغلابهْ

وزّعوها بالعدالة والكياسةِ والسماحهْ!!

إليك الخمر من دَنّ ابن داودِ

تخدِّر فيكَ إحساسَكْ

وإيمانَكْ

وتمحو منكَ ماضيك

وتصرفُ قِبلةَ الوجدانِ

من مكهْ

إلى لندنْ

وتلِ أبيبَ

تُنْسيكَ حكايا القدس والضفّهْ

وتصرف عنك - مادامت على فمكَ -

دموعَ الناسِ فى بغدادَ:

جرحاهم، وقتلاهم، وجوعاهم، وأسراهم،

وأطفالاً هناك تجفُّ، تساّقطْ

وريقاتٍ وريقاتٍ

فذنبُ الناس فى بغدادَ

ذنبهمو عروبتُهم

وذنبُ عيالِ بغدادِ

طفولتُهم

وأن أباهمو جعفرْ

أو العباسُ والمأمونُ

والهادى

فلو كانوا بنى كوهينَ

لازدهروا

وساقوا الكونَ كالأغنامِ راتعةً

ولو تبكى لهم شَفَةٌ

لهزَّ الكونَ زلزلةٌ

* * *

إليكَ الخمر يا صاحِ

هو سُكْرٌ يهودىٌ جميلٌ ينسفُ الصحوَ

لذيذٌ يسحقُ النخوهْ

تخلع ثوبكَ العربىْ

تَهرّأ، تستحى منه!!

تَقَادمَ عهدُهُ، شاخَ!!

تغيّرُه بثوبٍ ريحُهُ عبرىْ!!

وتأنفُ أن يدقَّ القلبُ بالفصحى

تواريخَ الذى قال:

إليكم ها هو البحرُ

من الخلفِ

أمامكمو عداواتٌ تسنُّ النابَ

والنارَ

فخوضوا النارَ

تشتدُّ معادنُكم

وتُرْجَمُ في نفوسكمو

أباليسٌ من الفُرْقَهْ

* * *

أحدِّثُني، أشدُّ الصمتَ من صمتِهْ

ومن أذيالِ سروالِهْ

فيأبى الصمتُ أن ينطقْ

ويأبى الصمتُ أن يبكى

ويأبى الصمتُ أن يَبْسُم

وأن يعوى، وأن يقعى

وأن يغفو، وأن يصحو

وأن يحيا، وأن يهلكْ

فراغٌ كلُّهُ قلبى

فراغَ الكونِ من رحمانِهِ الأعظمْ

لِمَ انصرفتْ أيا ربى كوارثُكَ السماويهْ

إلى من سبَّحوا باسمك

وهلّتَ النارَ فوق رءوسهم دهرا

ومزقتَ الغدَ الأعمى

فعميتْ أعينٌ، ماتت بصائرُ هذه الدنيا

وما رُحِموا برحمن

ولا انعتقوا من الأسْرِ

ولا امتدتْ لهم أيدٍ من النعمهْ

لِمَ يا ربُّ تركبُهم

بألوانٍ من التعذيبِ والتقتيلِ

تُرْسِلُ فيهمُ اليأسَ السماوىَّ

وطاعةَ من همو أدنى

وأوهى من خيوط الشمس

فى ثقبٍ صباحىٍّ؟!

* * *

فراغٌ كلُّه قلبى

فراغَ العالمِ الدموىِّ

من حُلْمٍ، ومن وعىٍ، ومن شفقهْ

فإن ترحمْ أيا ربُ ستلقى من يحبونكْ
وإن تقسُ فقد أضحتْ جميعُ الناسِ أعداءكْ!!!

* * *

١٩٩١/٩/١٣

أكْتُـبْ..!!

اكتبني.. قالت..

وأكتبْ.. واكتبْ

مثلَ العشاق

إذا اغترفوا من فيضِ القُرْبِ

ووَهَجِ الشوق ولسعاتِ البُعد المرسوم

اكتبْ أني قد فَوَّضتُ الأمرَ إليكْ

أودعتُ الذاتَ لديكَ

فأضحتْ كلتا الذاتين سماءً واحدةً

أغنيةً واحدةً

ويداً تشبكُ أخرى، تعصرُها

حتى ذابت فيها

* * *

واكْتُبْكَ..

وقلْ لى ماذا لو عرفَ الهجرُ

طريقاً لك

وتخابثَ قلبُكَ وتقلّبَ وانقلبَ عليَّ

وماذا لو أطلقتُ الرغبةَ بين يديكَ

فرشتُ الوجدَ ملاءاتٍ حول جميع خلاياك

ولممتُكَ فيها من كلِّ الناسِ

ومن شرِّ الناسِ

ومن خيرِ الناسِ،

ماذا لو أخلصتُ قيادى لكْ

- كالآن -

فشفتُكَ مفتوناً بعذابى

وتسلَّمُ حلمى لامرأةٍ تأتى لكْ

من أولِ بابٍ؟؟!!

حينئذٍ.. إنى قاتلةٌ.. قاتلةٌ.. قاتلةٌ لكْ!!!

* * *

يا....ه!!

أوَ هذا «الغيظُ» جميعاً مشحونٌ قلبُك بهِ؟!!

أوَ هذا الفيضُ جميعاً يَغرق نبضُك فيه؟!

أوَ هذا الحبُّ جميعا لى؟!

وحدى.. لى؟!

أستكثرُهُ علىَّ

وأخشى منى أن أطرفَ عينَ مناكِ

وأخشى لو فاضت آلامى

ومسست ببعض شظاياها

لفتةَ وجدٍ منك،

فأحرق همِّى ما يغشاكِ

من الأنوارِ العذراء

وما لفَّ كيانكِ هذا،

رُوْحَكِ هذا من طُهْرِ الأطفال

وأغصانِ براءتهم

* * *

أحكى عنكِ؟!

قليلٌ جداً.. أن أحكى

وكثيرٌ جداً.. أن أحكى

وكثيرٌ جداً.. أن أصمتْ

فالصمت حرامٌ فى كهفِ المعبودة: عينك

والقول حرامٌ فى قدس الأقداس: الثغرِ!!!

* * *

أستغفر الله العظيم .. من القلم!!

همسةٌ مكتومةٌ نبشتْ زوايا خافقىَّ
دفعتُها.. لم تندفعْ
راوغتُها
وقرعتُها لم ترتدعْ
أين النعاسُ؟!
بحثتُ عنه، طلبتُه فوق السرير وتحتَه
وشددتُه من ثوبه الهفهافِ
كيما أستترْ
كى أستريحَ من النفير بداخلى
لكنما الهمسُ : النفيرُ
يجرنىِ
ويمضُنى

وينقرنّ بإصبعٍ من إبرةٍ
فوق الدماغِ
فلستُ أغفو أو أفيق
ولستُ أنصتُ أو أقول
شيءٌ أنا؟! لا شيءَ.. لا
حُلمٌ أنا؟! لا حُلمَ لا كابوسَ
وَهْمٌ مائعٌ.. مثلُ المعانى قبل أن تُكْسَى
بأحرفِها العليلة والصحيحهْ
باردٌ.. مثلُ المدائح حين تُنْثَرُ
بالعناوين الفخيمة فى صحائفنا «النظاميهْ»
وحين ينفخها «الأَثير» المستطيرْ
فإذا بها تفشو بكلِّ خرائطِ الأرضِ المقيدةِ
كنوعٍ من جربْ!!

* * *

هذا النفيرُ
يمدُّ أرجله بعقلى
يغرس الأقدامَ فى عمقِ السريرهْ
يرفض التسليمَ.. لا يهوى «السلام»

بينى وبينى.. لا سلامَ ولا دعهْ!!

هذا النفيرُ محرِّضٌ

ويشدنى نحو القلم

أنا لا أحب الفكر،

أمقتُهُ، وأكره سمتَهُ

وكرهتُ كلَّ ذوى العقول

وكلَّ من ملكَ القلمْ

أستغفرُ الله العظيمَ من القلمْ!!

ومن القلقْ

ومن التهجُّمِ

والتشفِّى فى «النظام» إذا هلكْ

وإذا استغاثَ، أو اندلقْ!!

إنى أعوذُ من القلمْ

وأعوذُ بالجهل الجميل من التفكر والورقْ

ومن الخلائقِ حين ذلَّتْ وهى تسعى

فى الشوارع تائههْ

وبطونها مطويةٌ أمعاؤها كالعنكبوت

وكالعلقْ

ولقد سئمتُكِ يا هواجسُ،

يا قصائدُ، يا قضايانا المعلقةَ الحبالْ

مُذْ ربعِ قرنٍ تقرعين رءوسنا

* * *

ماذا دها الشعراءَ:

ناحوا

ما استراحوا

ما أراحوا

لا ينام لهم أملْ

لم تحترقْ أقلامهم، لم تنقصفْ أعمارُهم

وإذا يموت لهم أحدْ

بذروا ثلاثاً فى ثلاثٍ فى ثلاثْ

والنورُ عندهمُ ظلامْ

والصحوُ عندهمو ضبابْ

والخيرُ عندهمُ خراب

ماذا دها الشعراءَ

والشعرَ المخرَّبَ والمدمرَ.. يا تُرى؟!

* * *

إنى برئ من قصائدهم

ومنى

لستُ أُخْدَعُ بالهواجسِ

والنفير المستبدِّ بداخلى

يا أيها الشعرُ النجسْ

فلتذهبنْ

إنى توضأت العشيةَ

كى أصلى ركعتين

.. من الدجل!!!

* * *

١٩٩٧/١٢/١٠

ذَكّـرتَنـى..!!

ذكَّرتَنى بالناسِ ناسٍ
وبالنخيلِ النخلِ جلَّلَه السموق وشدَّه
أعلى، علا شَدَّ الأنوفَ وما يطئطئ للترابِ
برغم أن الجذرَ موطئه الترابُ البكرُ
والطينُ القديمُ المنتمى للنيل، للأهرامِ،
للغةِ الفصيحة، للغدِ
ذَكَّرْتَنى بالنخلِ
حين يجوعُ لم يمدُدْ يدينِ
ولا انحنى
ما جَفَّ عرقُ العزةِ الشماءِ
ما عرف البكا
ورماه كم رامٍ ومرَّ

وما رمى غيرَ الحَصاة الذاهبهْ
يمضى النخيلُ إلى علٍ
ومضى الرماةُ إلى الفناء
تُظلُّهم هذى النخيلُ بظلّهَا
تقتاتُ من رمثِ الرماةِ جذورُها
تُثْرى دماءُ الراحلين عروقَها
وجريدَها، وسُباطَها

* * *

سعفُ النخيلِ عشيقةٌ كانت هنا
تحت الظلال تمددتْ أحلامُها
تستنشق الصبرَ المديدَ
وبانتظارِ حبيبها مرَّ الزمانُ ولم يجئ
لم تبرح الظلَّ النخيلىَّ الوديعَ
ولم يعانقْ جفنُها من عشقِها
غيرَ انتظارٍ خالدٍ
يتسللُ النبتُ المقيمُ حدودَها
ويلفُّها

يمتصُّ من تلكَ الحبيبةِ سمتَها البشرىَّ

تضحى كومةَ من طينةٍ تحتَ النخيلِ

تسرَّبتْ خلفَ المياه إلى جذورِ نُخيلةٍ

هذا النخيلْ

جَدَّى وجَدُّكَ

والفراعنةُ القدامى

والصحابة

* * *

ذَكَّرْتَنى؟!

أنا ما نسيتْ

طعمُ السحائبِ فى فمى

جابت طباقَ الكونِ

حطَّتْ فى الحقول

نالتْ شفاهى من رذاذِ القَطْرِ

قَطْراً فانتشتْ

أنا ما نسيتُ ملامحى

منثورة فى حقل برسيمٍ

تقافز عبرهُ سربٌ من الأطيارِ:

يلتقطُ الوريقاتِ المغمسَ طرْفُها

من وشوشاتِ الشمس فورَ بصيصِها

وروائح التبنِ المُندَّى

فوقَ أسطحِنا

وعطْن دجاجنا البلديّ

منساباً مع خطوات قفْزِ الضفدعهْ

نَطَّتْ خُطاها من مياهٍ للحشائشِ

من حشائشَ للمياهْ

* * *

أبداً أرانى ما نَسِيتْ

خصلاتِ شعْرِ البنتِ

بنتِ محمد بنِ محمدين

والبردُ يُلْصَقُ فى قفاها

حينما هبّتْ رياحٌ طار فيها الشعرُ

باعاً أو يزيدْ

فشددتُهُ، وجريتُ

تجرى

تشتمُ الأصلَ الذى منه أندرجتُ

وما رمانى فى طريقٍ تعبُرهْ!!

والبنتُ بنتُ محمدٍ

أقدامُها مثلُ الجريدةِ حين جفّتْ

قد تشقّق عمقُها

وتفتّحتْ فيها المدقّاتُ، الطرقْ

لكن مقلتَها ضياءٌ من عَدَنْ

غمازةٌ تُحيى وتقتُلُ كلَّ يومٍ ألفَ ألفِ ضحيةٍ

وشفاهُها بدمِ الطبيعةِ ضُمِّخَتْ

البنتُ بنتُ محمدٍ

فيروزةٌ،

ماسٌ، زمردةٌ

يحاصرها الثرى!!

* * *

ذَكَّرْتَنى؟!
أنا ما نسيتُ
وما نسيتُ
وما ....
وما ....!!!

* * *

١٩٩٨/٩/٢٦

نـوعٌ مـن الأحـزان!!

.. هذا إذن سرُّ الجروحِ الناطقهْ
بالسحرِ ووالوهَنِ الشفيفِ المستحى
ينثالُ من شفتين تائهتين فى صمتٍ أنيقْ
ليستْ جميلهْ
فالجمالُ ظلالُها
وذُبالةٌ مقطوفةٌ من وَهْجِها
ليست جميلهْ
فالجمالُ حدائقٌ، ومباهجٌ، ومعالمٌ
يجتاز كلٌ دروبها مَنْ لا يُحسُ ولا يرى
أما فتاتى فابتداءٌ وانتهاءٌ
واختبارٌ واصطبارٌ
وانتظارٌ فى خشوعٍ جائعٍ

رغم التشبُّعِ بالألمْ

فهى التى فوق الجمالِ وتحتَهُ

وأمامه، من خلفه

مشْكَاتُهُ، ومحيطُهُ

وإذا تحدث صمتُها

بالصمتِ هزَّ قواعدَ اليأسِ المبينِ

وأطلقتْ - بالصمت - أنهارَ الغناءِ من القيودِ

ولَفَّنَا شجنٌ ثقيلٌ مثمرٌ

* * *

دعنى أؤمِّلُ أن أراها تبتسمْ

دعنى أصلِّى للسماءِ

بأن ترشَّ رذاذَ بسمتها بذوراً للرضا

دعنى أوضِّئ خاطرى من نظرةٍ

فاضت بها

أحتارُ فيها: هل تناشدنى الدعاءَ

بأن تهبَّ، وأن تدبَّ على التراب كما ندبُّ،

بأن تَشُدَّ الخطوَ من هذا المطبِّ إلى مطبْ

تلقى من العثراتِ أحجاراً وطوباً

فى طريقٍ تمتطيه على القدمْ

ليست بكرسىٍّ لمُقْعَدَةٍ يقيِّدُ حُلْمَهَا الجبارَ:

أن تتعثرَ الأقدامُ فى حَجَرٍ

وأن تجرى

لتلحقَ فى الصباحِ وفى المساءِ الحافلهْ!!

وبأن تدافعَ عن مواطئ للقدمْ

تحتلُّها فى غبطةٍ؟!!

هل تغتبط؟!

إنَّا جميعاً نبتئسْ

أفلا ترانا بائسين؟!

ماذا يكون البؤسُ والقدمان جاريتانِ

كالماء الطليقِ

ونستبيحُ جميعَ أتربةِ الطريقِ

نقيمُ حِلفاً بين أحذيةٍ ممزَّقةٍ

وبين الأرصفهْ!!

ونشوط حصياً قد يقاسمنا السبيلَ

نطيحُ بهْ

ونطيحُ بهْ

ونطيحُ بهْ

نحن المطاحُ بحلمنا

نحن المطاحُ بحاضرٍ نحياهُ موتى،

قادم يأتى إلينا ميتاً

فنكفنهْ

ويكفننّ بقاءنا؟!!

* * *

يا أيها الحُلْمُ المكفّنُ فى فتاةٍ مُقْعَدَهْ

إنى أراكَ تبصُ نحو حذائنا المفروكِ

والمعروقِ تطلب مثلَهُ!!

وأراكَ لهفاً للإطاحةِ

بالحجارةِ والثرى

وأراكَ تشتاقُ التشعلُقَ فى الحوافلِ

والنواصى

والتسكعَ فوق أرصفةِ الحوارى

اليائسهْ

حُلْمٌ ضئيلٌ خافتٌ

حلمٌ خجولٌ لا يبوحْ

حلمٌ عليلٌ معتَقَلْ

فهو الجنينُ ببيضةٍ تحميه.. لكن تقتُلُهْ

فانقرْ بقشرِ البيضِ، قشرِ الصمتِ،

قِشْرِ اليأسِ

واخرجْ للنواصى والحوارى

نافس الجوعى بخطفِ رغيفِ خبزٍ.. وابتسمْ

وانقرْ جدارَ الحزنِ نقراً

لا تَمَلّ

ففرحُكَ المقهورُ أقوى.. إن نوى

من فرحكَ المأسورِ طوّقنى شذاهُ

من بعيد

فرأيتُ أنكِ يا فتاتى

قوةٌ فى عجزكِ الوهمىّ

شماءٌ وشامخةٌ

وغيرُكِ شامخُ القدمين والساقين والفخذين

أقعدَهُ الخواءُ عن الغدِ

* * *

لا تسأليني إذا خاطبتُ عينيك

بخفْقاتى.. عن المعنى:

أذاكَ اليأسُ

أم عشقٌ

أم الشفقهْ؟!!

* * *

١٩٩٧/٦/٢٠

علاقات زوجية !!

ياه ....

أصبحت الآن وحيدا

أصبحت وحيداً جدا

أفرجت الزوجةُ عن أنفاسى

عن بصَّاتى المكبوتةِ تحت النظارةِ

تحت يديها

أطلقت الزوجةُ - حالاً - للقلب

حقوقَ النبضِ، حقوقَ الرفرفةِ،

حقوقَ الحزنِ المطلقِ

دون مقاطعةٍ وضجيج

فأكاد أفيقُ

أبصُ حوالىَّ وفىَّ

فأصدقُ أنى الآن أنا:
ها هى ذى قبعتى المتسخةُ
قابعةٌ فوق الرأسِ
تهشّ سهامَ الناسِ
تصون دماغى من أىّ طنينٍ بشرىٍّ
من كل جراثيمِ الجهل المنثورةِ
فى الآفاقِ وفى أنفسهم
ها هى ذى النظارةُ
نفسُ النظارةِ
مُذْ كنتُ شقياً فى الأرضِ
حتى أضحيتُ شقاءً فى الأرض يدبُّ
ويدى، إحداها تمسك قلماً
قلماً؟!
أتذكّرُهُ..
من خمسة أعوامٍ كنتُ نسيتُهُ!!
أوْ نسىَ القلمُ - صديقى السابقُ -
تنميلةَ إبهامى
حين أخط «الميلادُ غداً»
وحلمتُ بساعةِ رؤيا

ليستْ تدنو - بعدُ - لكل المنتظرين
أمام الغيطانِ
وتحتَ السنطِ
وجنبَ بحيرةِ قارونَ
وفى قلبِ النيرانِ بحلوانَ
أو التبينْ
تلك الساعةُ ليست تدنو
كانت حتى العام السبعين
قريباً من أحلام المنتظرينَ
الآن نأتْ
تنأى
حتى عن مرمى الأحلامِ
ومسقط رأسِ طموحاتِ العطشى
وأنا العطشان الأكبر
ردَّ القلمُ النبضَ لإبهامى
وأنا الآن أصدِّقُ نفسى أنى وحدى
وأخطُّ مسوَّدَةَ قصيدهْ

* * *

فيمَ يكتبُ مثلى

حين يردُّ إليه الشعرُ الروحَ

ويُسْلِمُهُ قيادَ الكلماتِ

فتشتجرُ الكلمات على مأوى

تقطن فيه

يقيها بَرْدَ الصمتِ

يهشُّ الوحدةَ

عن لفظٍ يعشقُ لفظهْ

يتزوجها....

ماذا قلتُ؟!

زواجٌ؟!

الزوجةُ تقف الآن على رأسى

تُمْعن فيما بدرَ من الذنب على الأوراقِ

تفلّى كلَّ خطيئات الفضفضةِ

تصنّفُ خطراتِ اللحظة:

هذا تهويمٌ فى نهدِ امرأةٍ،

هذى بصبصةٌ للسيقان!!

* * *

ياه ....

الزوجة تقف الآن على رأسى

ترصدُ أعماقى..

قد جَفَّ الحبرُ

بحلْقِ القلم

تسَّاقطُ قبعةُ الرأسِ

والنظارةُ تُظلِمُ.. تظلمْ

إنى قد أذنبتُ.. وأعتذرُ!!!

* * *

١٩٩٩/٥/٧

وأرى الدنيا بين يديكِ
عصافيراً من أنغامٍ
ترسم فوق الكفّ نُهيراً
وطريقاً أوحدَ
يبدأ بكْ
ويعودُ إليكْ

* * *

قالتْ: شعرُكَ مسروقٌ من وادى عبقر
شعرُكَ خمرٌ لا يُسْكِرْ
فى القلب يزقزق، يتمطّى، وينقّر
شعرُكَ يَنْذِرْ

شعرك حاراتٌ من شتى أفئدةِ الناسِ

الغرقى تحت جليدِ النسيانِ

وتحت حذاءِ الوهم

وتحت بياداتِ العَسْكَرْ

* * *

قالت: شعرُكَ يا أنتَ فُتَاتُ رغيفٍ

قبضةُ نورٍ

قطعة سُكَّرْ

شعرُكَ لا يستأذنُ،

لا يطرقُ أبوابَ الروح

ولا يخجلْ

بل يقتحمُ خلايانا.. يدخلْ

ويمدِّدُ أبياتِ قصيدِكَ

فى كلِّ شرايينِ الوجدِ

ويصلِّى الصبحَ

يصومُ شهورَ الإحرامِ.. ويُفْطِرِ

مِن كلِّ دُعاةِ البيعِ.. التبديدِ.. الوهمِ الدوليِّ
ومن كلِّ هواةِ بنى داودِ
شعرُكَ أشطرْ!!

* * *

مَنْ ألقتْ هذا الغيمَ على شِعرى
مَنْ؟!
امرأةٌ مثلُ جميعِ نساءِ بلادى؟!
لكن الناس هنا تضطهد قصائدَنا
وتمزِّق أبيات الشعرِ
وتحفرُ سرداباً من ليلٍ فى كلِّ قصيدهْ
ترمى الشعراءَ بأحجارٍ فى كلِّ طريقٍ
من سجِّيلِ الجهلِ العربىِّ

* * *

فمن أنتِ
يا أيتها البنتُ البشرُ
المنسحقةُ فى دنيا الوجدِ الشعرىِّ

المنغمسة فى قلبى كالسكين النورانى العذبِ
مُذْ أوّلِ نظرهْ؟!
مَنْ لَقّنَ خاطرَكِ الحكمةَ والموعظةَ
الفائرةَ أنوثهْ؟!
مَنْ فتحَ البابَ لعينيكِ إلى ليلى المظلمِ
فأضاءَ،
إلى شجرٍ جَفّ بأعماقى واجتُثّ
ويستلقى الآن فرادى وجماعات
أصبح بستانَ حكايا وغناءٍ
وصبابات؟!
من ألهمَ هذا الثغرَ المتربص بى
أن يتربصْ
يسرقَنى من كلّ الأشياء السوداءِ
ويسرقَ منى كلّ الأشياء السوداءِ
ويغمرَنى فى فُجْرٍ وحياء؟!
مَنْ دَرّبَ هذا الثغرَ على الإيقاعِ

بمحزونِ القلبِ

وأشعلَ فيه النارَ

قريباً منه..

بعيداً عنه؟!

مَنْ منح النطقَ لنهديك العجماوين

فلقّننى النهدُ الأيسرُ ألفَ قصيدهْ

والنهدُ الأيمن علّمنى قاموسَ اللغة العربية

موسيقى الشعرِ العربىّ

وأيامَ الأسلافِ الأولى

ومصارعَ كلّ العشاق

فوقَ رماحِ الأعين

وسيوفِ الخصْرِ السفّاح الظالمْ؟!

لِمَ يفعلُ بى هذا النهدُ الآن أفاعيلهْ

ويمدُّ الحلمةَ ينقرنى فى قلبى

وإذا مدَّ القلبُ يديه يعانقُهُ

يهربُ منه فى أدغالكِ؟!

* * *

أدغالُك.. أين طرائقُها
من أيِّ الأبواب أخشُّ
وأستلقى زرزوراً هدَّمهُ الجوعُ
إلى ريِّكْ؟!

* * *

إنى مقتحمٌ مقتحمٌ
لا عالمَ إلا عندَكِ
لا كونٌ إلا فيكِ
ولا فردوسَ سوى خَصْرِكْ
أستنشقُ ريحَ الجنةِ فى بَسْمِ منك
وأرى الدنيا بين يديكِ
عصافيراً من أنغامٍ
ترسم فوق الكفِّ نُهيراً
وطريقاً أوحدَ
يبدأ بك
ويعود إليك

* * *

غضبانة!!

غضبانةٌ.. شفتاكِ ثائرةٌ علىْ

ثارت فخضّبَ هذه الدنيا بريقٌ قرمزىْ

بحرٌ من النيرانَ تلتهم الجليدَ المستبدَّ بخافقىَْ

هاجتْ علىَّ الصفتانِ، فأين مهربُ مقلتىْ

ولمن أصبُّ عريقَ أحزانى وهمٌّ فاض بى؟!

ولقد شققتُ إليك دربى.. قد طويتُ الكون طىْ

حتى غفوتُ على شواطئ ناهديك مجرَّجاً من كل حَىَْ

والقلبُ ينزف وَجْدَه ليلاً يغطى كلَّ حىْ

* * *

غضبانةٌ؟! فمن الذى يرضى العيونْ

ويعيد تغريدَ البلابلِ فى شواطئها الحنونْ

أنتِ السعادةُ كلُها.. أنت السذاجة.. والبراءةُ.. والجنونْ
فبدون ثغرِكِ لا صباحَ بعالمى.. لا لن يكون!!

* * *

ابتـــداء..

لم يكن كل هذا الذى عشتُهُ من عدمْ:
تسرُّبُ نملٍ حثيثٍ طوابيرَ جمرٍ
إلى بؤرةِ الذاكرة
ويقرضُ أطرافَها فى وجلْ
ويبنى مقامَ القديمِ جديدا
يفتت غُرْفَاتِ عشقٍ عتيقٍ
فتاتاً يطيرُ إذا ما صحوتُ
إذا ما غفوتُ
إذا ما امتلأتُ بوهْجِ العيون
وسطوِ العيونِ
وأمرِ العيون
ونهى العيونِ

تبخَّرَ كلُّ هواى القديم
فُتاتَ تذكُّرْ
فهل نارُ هذا الجديد هباءٌ؟!

* * *

بماذا أفسِّرُ قبضةَ قلبى
بكفٍّ غليظهْ
إذا ما مضيتُ وخلفى يداها
تلملمُ أطرافَها من يدى
وتترك بين أصابعِ كفى
دبيباً مُعَمَّى.. فلا أفهمُهْ
وحين التقاءِ يدى فى يديها
يرفُّ جناحانِ رفَّا
بجنبيَّ حيناً
يطيران حيناً
على وجنتيها
فلستُ أحسُّ: هما من فؤادى
أم ان فؤادى تربى وعاش
على وجنتيها؟!

فهل كل هذا الذى يحتوينى بقايا عدم؟!

* * *

ألا من خبر

أيهذا القلم؟!

حروفُكَ منزوعةٌ من دمى

ومأواك صدرى

وكلُّ أمانات عقلى

وكلُّ إرتعاشاتِ وجدى، فمى

أمام خُطاكَ هنا ترتمى

فقل لى بربكَ

كيف أفسِّرُ رغبات وجدى بأن يحتويها:

جميعَ خلايا طموحاتها

وأنفاسها

وبصَّاتها

وأن انمحى

بكلِّ شعيراتِ هذا الجسد

بكلِّ سراديبه المظلمهْ

وكيف تمنيتُ ـ مازلتُ ـ أن أُخْتَصَرْ

قلامةَ ظفر

وريقةَ فلٍّ

تهاويمَ عطرٍ

وأكمنَ بين النهود هنالك حيثُ الحياة

وحتى المماتِ على صدرها؟!

* * *

هى فى السماءِ هناك تهيم

وبين أصابع كفّى هنا

هناك.. هنا

فى السماء وكفى

ويرضيك منها انتعاشُ اللقا

ويرضيك منها الرضا والغضبْ

ويرضيك منها الأمانى البعيدهْ

ويرضيك منها اختلاسُ النظرْ

ويكفيك - يا قلبُ - منها انتظارُ القدرْ

ويكفيك تَخْفِقْ

ويكفيك تُشْفِقْ

ويكفيك تخشى

ويكفى .. ويكفى ....

برغم اشتهائى بأن أستبيح

جميعَ الحدود

وأبنى قصراً إزاء النهود

وأعبرَ منه إلى حيث ما لم يكن يُعْبَرُ

إلى حيث جناتُها المفعماتُ

بنار الأنوثهْ؟!

* * *

بماذا أفسِّرُ خوفَ التنائى إذا ما التقينا

وخوف التدانى إذا ما افترقنا

وخوفى عليها حِرابَ التأمل

من أعينٍ مبثوثة بالشررْ؟!

بماذا أفسر هجرَها للنعيم

سباحتَها - فى يدى -

ضد من يسرقون ظلالَ الشجرْ

ضد من يحشرون كتائبَ قهر

على كل دربٍ

يتوق إليه دبيبُ الترعْ

ضد من ينصبون بأحلامنا

خيامَ العفنْ؟!

أهذا هوى عائدٌ من سحيقٍ:

سحيقِ الزمن

وهل يولدُ الوجدُ.. فى حجْرِها.. ينتفضْ

أم ان الذى يولدُ الآن فىَّ

طريقٌ طويلٌ

على جانبيه ابتداء الألم؟!

* * *

المنصورة

١٩٩٩/٨/٢٦

تربيــة البــوم!!

البومةُ أنثى

لا أعلم أن هناك رجالاً بوماً

أو أن هنالك نوعاً منهن يُذَكَّرْ

للبومة فلسفةٌ فوق حدود الإدراك البشرى

فلسفةٌ فى أن تنعَق غبطهْ

حين يُهَدَّمُ سقفٌ فوق رءوس الناسِ

المحشوةِ أحلاماً وخرافاتٍ ونعيماً وهمياً

تلتصق عظامُ الناس بطين الأرض

ويُرْوَى شجرُ الصبارِ، على دمهم يُزْهِرْ

* * *

كنتُ أرى البومَ يحومُ

وينعقُ فى غِبطةِ سيدةٍ تخلو بعشيقٍ بعد غيابٍ

فيبلُّ جفافَ ثناياها، تعشوشبْ

البوم يحومُ، وينحطُّ بكلِّ خرائبَ

دمّرَها الهجرُ، أو الثأرُ، أو الدهرُ

وينعق فى استدعاء جميع الأقوامِ

من البوم الرابض فى قلب خرائبَ

قد جَفَّ أنينُ مجاليها

البومُ عدو الخضرةِ والترعة والنخلةِ

والنسمةِ فى قيظ الصيفِ

يحبُّ اللونَ الأسودَ، والليلَ

ولونَ نحيبِ الجرحى والأيتامِ

ويطربُ إن سقط العصفورُ بطلقِ رصاص

أو رفرفَ كتكوتٌ بجناحيه،

يكاد يطيرُ،

فينقضُّ عليه

* * *

البومُ القبحُ شبيهٌ بهْ

القبحُ لفافاتٌ منه

خنزيرٌ أصغرُ يسّاقطُ من عينيه

وخلايا الكُرْهِ الأبلهِ رابضةٌ

تحت جناحيه

* * *

لا أدرى لِمَ هذا البومُ تبوَّم

لِمَ خلقَ الله البومَ وأرسله فى كل صباحٍ

ومساءٍ: نعقاً ودمامهْ

قنبلةً من حقدٍ طائر..

تتوالدْ..

كبنى صهيون؟!

* * *

الناسُ «زمانْ» فى بلدى كانت صنفينْ:

الصنفُ نساءٌ لا تنقبضُ لنعق البوم

ولا ينتفض لها شعرهْ،

والصنفُ رجالٌ أعداءُ البوم

يتغير مجرى اليوم جميعاً

لو نعق البومُ على رأسهْ

اليومُ تغيَّرَ واستعصى

الرجلُ إذا شاف البومةَ شاف الموت

يرفرف فى جنبيه

يحصبها بالنعلِ فلا تهربُ غير ثوانٍ

ثم تعود إلى رأس الرجل وتنعقْ

فرجال القرية كلهمُ أعداء البوم

لكن المرأة.. لا!!

قد كنت أسائل نفسى:

لِمَ يجرى كلُّ رجال القريةِ

خلف البومةِ رجماً بنعالهمو- حفاةً؟!

* * *

لم أعلمْ فلسفةَ البوم

ولم أعلم ينبوعَ الكُرْهِ

لكل البومِ بقلب رجالٍ ما أطيبهم!!

الآن تعلمتُ سراديب البومِ

وأجناسَهْ،

فلسفةَ البومِ وكُرْه رجال القريةِ لهْ

أصبحتُ أربى بومه

مثل جميع المنخدعين لتوهمو، أو منذ سنين

مَن تركوا أزمان صباهم

وتطلّع قلبهمو للعُشّ - كما تحكى الأفلام العربيهْ

لعنَ الله الأفلام العربيةَ:

من يطبخها، من يأكلها!!

قيل: العشُّ يغرِّد بالعصفورة أنقى

فاختار الوجدُ عصيفيرهْ

من بين عصافير ضياءٍ منعشةٍ للرغبة

تهفو النفس لقضماتٍ منها

ورجال مدينتنا - لعن اللهُ رجال مدينتنا

القاهرة الحبلى -

قالوا إن الله سيرسل للعصفورة رزقاً

أنشئ عُشكَ لا تخنعْ

وأقمتُ العش: صفائحَ من قلبى

وشبابيك من النبضات

وباباً للأيام القادمة يمد جناحيه

ويعزف ناياً

يحكى عنى وأنا وحدى

بين خرائب نفسى أسعى

لا يطرق قلبى غيرُ الحزن الرابض فيه

وأصلى للجسد المبهَمِ

فى أحضانِ امرأةٍ، وامرأتين، وعشرين

أتذوقُ.. لا طعمَ

وأشرب.. لا رِىّ

وأسرح فى النهدين.. أتوه بهمى

لا أرجع إلا ويداى معمَّرتان

بنهدين جديدين

التهمُ.. وجوعى يتوحش

* * *

ورجالُ مدينتنا ـ لعن الله رجال مدينتنا

القاهرةِ الحبلى!! ـ

قالوا: كلٌ منا ربّى عصفوره

والعش الآن عمارٌ، ويزقزقْ

ربّيتُ العصفورةَ يوماً أو يومين اثنين

وكان التغريدُ عصافيراً فعلا

وجناحاها نمنمتان من الرقةِ

عيناها طاعاتٌ لا تعرف: لا

في اليوم الثالث للعصفوره

أضحتْ بومهْ

وبمنقارٍ يلقط يومياً

عاماً من عمرى

حلماً من عمرى

وقصيدةَ شعرٍ كنتُ عزفتُ

كليماتِ منها

* * *

أصبحتُ الآن ككل رجال مدينتنا

تربيةُ البومِ لنا قَدَرٌ

وتعلَّم إدراكي بعد دخول السردابِ الأبديَّ المظلمْ

لِمَ كان رجالُ القرية يرتجفون

إذا شافوا البومة

وحفاة يجرون وراء البومةِ

يرمون نعالهمو!!!

* * *

١٩٩٩/٧/٢٣

شكراً .. لهذا الكذب!!

خدَّاعةٌ..

ودمى أريق على يديكِ

قتلتنى

ونثَرتِ أشلائى على كلِّ الدروبِ

تعلَّق القلبُ الغبىُّ قُصاصةً

فوق المدائنِ، والمآذن، والطرقْ

مثَّلت بهْ

ورميتِهِ فوقَ الكراسى

حيثُ جلساتُ الخداعِ:

رسمته وحبكته

صدَّقته وأنا الغبىُّ المنخدعْ

فى كلِّ جلساتِ الغرام المصطنَعْ

أغرقتنى

خدَّرتِنى

وسرقتِ كلَّ محاذرى

وسرقتِ كلَّ مشاعرى

وسرقتِ خوفى منِ آلاعيبِ العيون الكاذبهْ

وجهٌ لعوبٌ.. لا أمان

وجهٌ كذوبٌ.. لا يصون ولا يصان

وجهٌ تسلَّلنى كَسُمِّ العقربِ الفتاكِ

فى غبش الدُّجى

وجهٌ يدبْر فى الخفاءِ جحيمَهُ

خلف البراءةِ والسذاجة

جرَّنى، وأطاح بى

فى لُجَّةٍ سوداءَ لا قَعْرٌ لها

لا شطٌّ، لا مجدافَ،

لا قشٌّ تطاوله يداى، ولا بصيصْ

* * *

علَّقتنى فى خيطِ أوهامٍ طويلٍ

يبتدى.. لا ينطوى

وجررتِنى أعمى البصيرةِ

نحو عالمكِ المزوّقِ بالعفنْ

نحو قلبٍ تنبتُ الأشواكُ فيهْ:

قبرٌ تهجّرَ منذ قرنٍ

تصطفيهِ الغولُ مأوى، والزوابعُ موطنا

* * *

عذّبتِنى.. فأنا المعذَّبُ دونَ ذنبٍ

غير أن القلبَ أعمى والبصيرةَ ألْجِمتْ

والعقلَ خدَّرَهُ الهوى

وذراهُ ريحُ الوجدِ

للشفتين

للنهدين

للوعدِ المعلّق فى السماءِ إلى الأبدْ

* * *

شكراً لكِ

شكراً لهذا الكِذْبِ.. يلدغُنى ويصفعُنى..

أفيقْ

شكراً لهذا الكِذْبِ يخنقُ سُكْرَتى

ويشدُّنى من ياقتى
يطوى خيوط الحلْمِ.. يحرقُها
ويذروها بكل طريقْ

* * *

لو كنتِ أنتِ النورَ بعدَ اليومِ لاخترتُ الظلامْ
إنى بلغتُ من الهوى حدَّ الفطامْ
لو كنتِ أنتِ الرِّى لاخترتُ الظمأ
وشربتُ دونَ الماءِ مسنونَ الحمأ
مزقتُ كلَّ قصيدةٍ باحتْ بخفقاتى لكِ
شكراً لهذا الكِذْبِ عرَّفنى بكِ
شكراً لكِ
شكراً لكِ

* * *

أسيوط
١٩٩٩/١٠/٢١

طَـوَاف..

فى كلّ يومٍ نلتقى
فى كلّ يومٍ نفترقْ
وكأننا لا نلتقى
وكأننا لا نفترقْ

فى النَفْس منكِ مسرّتى ومباهجى
وملامحُ الحُلمِ الشجىْ
وخرائطُ الوجهِ البهىْ
فى النفس منكِ نسائمُ الثغرِ الوليدِ
متمنماتُ الفجرِ يبزغُ من جديد
من جفونِكِ، من تدلّلكِ الصبىْ

* * *

أمضى إليكِ مرفرفَ الخطواتِ

كالطير، كالضوء الفتىّ المنتشى
وبكلّ خطوٍ للمثول أمام وجهكِ
أنفض الآلام عن كفى، وعن قدمى
وعن قلبى، وعن عمرٍ شقىْ
وأسبّحُ الدنيا التى فيها
تنفست الهواءَ
وأطلقتْ شفتاكِ أنسامَ الفرحْ

* * *

موزّعٌ.. قلبى عليك موزّعٌ:
فهنا تبيتُ خواطرُك
وهنا يقيم النهدُ.. يبنى عُشَّه
وهنا تصببين المشاعرَ
كأسَ نارٍ فى دمى
وهنا تَقَرُّ الوجنتان
وكل نبضٍ فى فؤادى
عندَ بابك يرتمى

* * *

علمتِنى ألاّ أعيش سوى غدى

علمتِ أنغامي صفاءَ الموردِ

وسرى دبيبُ الروح عبر قصائدى

فإذا تناثرت الخواطر فى فؤادى تائهْ

كنتِ المعانىَ والمبانىَ فى يدى

وإذا يصلى القلبُ للمولى

صلاةً قصيدةٍ

فصدى ابتسامكِ فى صلاتى مسجدى

* * *

فى النفس منك جميعُ ما تحيا به

ولديكِ منى مضغةٌ من نور

معنى هائمٌ

قَطْرٌ من النغمِ الشَّرودِ

على حوافِّ المولدِ

أنَّى نظرنا لا نراهْ

أنَّى نظرنا نستضيئ على ضياهْ

فى كل يومٍ طائفَين به معا

فى كل يومٍ نلتقى

فى كلِّ يوم نفترقْ

وكأننا لا نلتقي
وكأننا لا نفترقْ

* * *

ظمــا..

الوَهْجُ فى عينيكِ غيماتُ ابتهاجٍ
لفّنى فى طيه
وأذابنى نبضاً، وحلماً، وانتظاراً، وانتفاضا
أشرقتْ عيناكِ فى ليلى
فغطّتْ فرحتى أقطارَ نفسى
واستفاقت بذرةُ الوجد المعمّى داخلى
فاستطالت ألفَ غصنٍ
كلُّ غصنٍ ألف قبله
تظمأُ القبلاتُ للثغر: الجنونِ
للثغرِ العذابِ
للثغر الثرى بالأحلامِ واللهب الحنونْ
... ...

١٩٩٩

خـــوف..

وأطيرُ طيراً لا جناحْ
عصفورَ فَرْحٍ هائم
عصفورَ شوقٍ فى فضاءْ
نثراً من العطرِ البهيجِ
وريقةً من ياسمين
تطوفُ فى وَهْجِ النغمْ
وتشبُّ فوقَ
تحطُّ تحتَ
تطوفُ فى أبهاءِ ثغرِكِ
تلتهبْ..
نشوى على أنسام بسماتِ
الجفونِ الذابلهْ

* * *

أخشى على شفتيكِ لمسَ خواطرى
أخشى على شفتيك نارَ مشاعرى
أخشى على نهرِ البراءةِ
من حريق مواجدى
كرةٌ لهبْ
قلبى أنا
شوقٌ يهبُ ويصعدُ
نحو السمواتِ المغلّفةِ الحُجُبْ
فى مقلتيكِ..
أعيدُهُ فى قبضتى
فسماكِ للرؤيا فقط..
والقلبُ: قلبى من شياطينِ الجحيم
يخشى لمسها
ويخافُ أن يهوِى محطمةً جوانبُهُ
مهشمةً فُتاتاً من عذابْ
* * *
قلبى أناب
إلى إلهتهِ العصية وانطوى

يقتاتُ من عتباتِها بعضَ الرضا
بعضَ التقرُّبِ والتمسُّح والتُّقى
قلبى المشيطنُ قد بكى
وأقامَ قربَ ترابِ خطوِكَ
معبدا
واستغفر الضوءَ المندَّى من يديكِ
ذنوبَهُ
خفقاتُهُ، صخبُ الجوانحِ،
رعشةُ الوجدِ المعنَّى
كلُّها فى إصبعيك «خواتمٌ»
فى ناظريكِ تمسَّحتْ
وتعبَّدتْ
ثم استراحت من عذابات العُمُرْ
عصفورةً
قد بلَّها فى ليلةٍ شتويةٍ
هذا المطر
آوتْ إليك بلا جناحٍ
تستترْ

تستدرُ الدفءَ فى حضنٍ
يكادُ من الأنوثةِ ينفجرْ
أرجو يديكِ
وكلَّ نبضٍ فيكِ
أرجوكِ يا أمنيَّةً
ألاَّ تردى من بعشقكِ ينفطرْ

* * *

فرِحٌ أنا
لا يحتوينى الكونُ فى أركانِهِ
لم يتسعْ هذا الوجودُ جميعهُ
لمباهجى
وأنا أحلِّق فى ابتسامكِ مفردا
وأطيرُ من غصنٍ لغصنٍ
فى ملامحكِ البهيجةِ
فى ثناياكِ المقدسةِ العصيةِ
ألتقى بالذاتِ، بالأوطان، بالحلمِ البعيد
بالنخلِ العتيقِ
وبالحدائقِ والترعْ

أنا ما عرفتُ ملامحَ الوطنِ العتيقِ
حدودَ أرضى والبلاد جميعها،
معنى اللغات،
وكيف تُطْوَى لفظةٌ فى لفظةٍ،
وصدى رحيقِ الجزورين،
وأغنياتِ العندليب،
ووشوشاتِ الموجِ فى وجهِ الحياة،
ولا عرفتُ الأمنياتِ
سوى بوجهِكِ
حينما طارت إليه مشاعرى
عصفورةً قد بلَّها فى ليلةٍ شتويةٍ
هذا المطرْ

* * *

أرجوكِ يوماً لا أرى
فى وجنتيكِ صدى الأرقْ
هذا الوجودُ - صغيرتى - يفديكِ وحدَكِ
كلُّهُ
لو يُخَدَشُ الوجهُ البرئُ.. بدمعةٍ

فليحترقْ.. هذا الوجود جميعُهُ

فليحترقْ.. فليحترقْ!!!

* * *

المَهْــر..

قالت: مهْرى ديوانٌ بضٌ
لم تقربْهُ امرأةٌ قطٌّ
من نسوانِكَ
ألمحُ بين ثناياهُ
وفى حاراتِ قصائدِهِ عيونى
وهى تبصُّ إليكَ
تراقبُ خطوَكَ
تتربص بكْ
ترصد أنفاسَكَ فِى كلِّ زقاقٍ ومدَقّ
حين يسيل لعابُكَ
فوق نهود امرأةٍ منفلتهْ
مثلك!!

* * *

مهرك شعرٌ؟!

ما أسهلَهُ!!

ما أصعبَهُ!!

ما أبأسَهُ من حُلْمٍ!!

ما شفتُ امرأةً تشرى فقراً: شعراً

وتربيه وترعاه فيستشرى

نقطاً سوداءَ منوِّحةً

جرذاناً تقرُضُ كلَّ خيوط المتع البيضاء

وكلَّ نسيج الحريهْ

فالشعرُ: الفقرُ: القهرُ.. سواءْ

لو كنتِ لمحتِ كوبَ الشاىِ على مقهى،

وشممتِ ريحَ النرجيلة،

ولمستِ دفـءَ حليبِ الصبحِ،

ثم تُغَلُّ يداكِ

يغلُّهُما الفقرُ.. فلا تشرين،

لو شفتِ طفلاً فى الخامسةِ

طواه الليلُ الشتوىُّ

على جرفٍ هارٍ جنبَ النيلِ

توشّحَ خِرقاً وثلوجاً
لا نوماً نامَ
ولا صحواً أدركْ
ويَعَضُ الأمعاءَ الجوعُ
يئزُّ بمعدتهِ أزّا
وقريباً جداً منه
بعيداً جداً عنه
يسرسب جيتارُ السّكْرى
فى الهلتون
من أفواه المخمورين
ومن أعينهم
أدخنةَ التخمهْ
لو شفتِ....
لو شفتِ ما شئتِ الشعرَ لكِ
مهرا..
* * *
مَهْرُكِ شعرٌ؟!

ما أيسرَهُ !!

أرمى قلمى

وأقدِّم أوراقى البيضاءَ لثغركْ

وأقرِّبُها

تدنو من شفتيكِ

بلهفةِ ما كَنَّ القلبُ من الأشواقْ

تدنو الأوراقْ

تمتصُّ الأوراقُ هواءَ

يفصل بين الشفتين وبين اللمسِ

فلا يبقى بينهما من كلِّ الأشياءِ بقيهْ

فإذا ما مَنَّ اللهُ على الأوراقِ

بلمس شفاك

كانت بصمةُ شفتيكِ على الأوراقِ قصيدهْ

لا أكتبُ عنك قصيدى

لا أكتب فيكِ

إنى أسرقُهُ منكِ:

فأدُسُّ العينينِ اللصينِ

الرابضتين وراء النظارهْ

تقتنصان من الغمازةِ جِنيةَ شعرٍ
تسرقُ من تحت النهد الأيسرِ
جنياً ذكراً
فإذا باحَ الجنيانِ
بما شافا منكِ
فكان قصيدهْ
ألفَ قصيدهْ
تحمل توقيعى.. لا أكثرْ

* * *

مهرك شعرٌ؟!
ما أصعبَهُ
فالشعرُ حماماتٌ ناصعةٌ من نارٍ
لا تهبطُ نحو الأرضِ
ولا تقعُ
فإذا شئتُ الصيدَ
تجردتُ من التكوينِ
ومن ثقلِ الوعى
ومن ذاتى

ودفنتُ ملامحَ وجهى

واسمى

فى بئرٍ تاهت

وأشبُ بدون جناحٍ

كى أمْسكَ بجناح حمامه

وأشبُ فأسَّاقطْ

أسَّاقطُ.. أسَّاقط

أصعدُ مقطوعَ الأنفاسِ

لهاثى يسبقنى نحو سماواتِ الله

فيهربُ منى سربُ حماماتٍ نارىٌّ شعرىٌّ صابىْ

أتهاوى نحو الأُرضِ

يحطمنى عبءُ الألفاظِ، الجُمَلِ، الموسيقى

ويهبُ الإعصار بوجدانى

أطَّايرُ شذراتٍ خلفَ الطيرِ

أكادُ الآن....

الآن قبضتُ على ريش حمامه

تجذبنى (آيه) من ثوبى

تصرخ فىَّ:

- بابا.. بابا.. فيمَ تسرحُ؟!

كنتُ أنا دى

أتخاصمنى؟!

هذا يومى.. يومُ الميلاد الخامسِ

لم آخذ منكَ هديهْ

ماذا تشرى لى؟!

- أشرى؟!

سيدتى تشرى شعرى

تطلبه مهرا

والشعرُ جحيمٌ.. هل أدخله برضاى

وأدخلها خلفى؟!

- بابا.. بابا

أنت تهلوسُ.. تهذى

بأقاويلَ غريبه

لا أفهمها

- سيدتى

مهرُكِ أغلى من كل دواوين الفقرِ

ومنى

مهرك فوقَ القدرات العاجزةِ البشريه

وأنا أعجز أن..... أن....

آية تبكى.. تبكى.. تبكى!!

* * *

الفرح المحزون!!

ساءلنى الوجهُ المشرقُ
عن كونين اتسقا واختلفا
واختلفا واتسقا
فى أعماقى
فكأنّ الضحكةَ من عينىّ بكاءٌ
مرشوشٌ فوقَ الشَفَةِ
وعند تقاطيع غضونى
فيلوّن وجهى برذاذٍ أخضرَ أحيانا
ورذاذٍ أصفرَ أحيانا
أحياناً يختلط اللونان
وكأنّ الصمتَ المتسربَ منى وإلىّ
نملٌ أبيضُ يخرج خلسةْ
يصطفُ بأعلى الوجه

وحواليه

ويلتهم فتاتَ الروح

وطعمَ البسمة

لا يُبْقى منها شيئاً فى وجهى

غيرَ حشائشَ منزوعهْ

ونخيلٍ جفّ

* * *

ساءلنى وجهُك عن حزنى المسرور

وعن فرحى المحزونِ

فلم أنطقْ

لكنّ علامةَ الاستفهامِ

التفّتْ حول الرقبة والعقلِ

تدلّى منها رأسان

أحدهما يقذف أوجاعاً، وضباباً،

ونهاياتٍ لا حدّ لها إلا الجنة

إلا النار

فالجنةُ والنارُ نهاياتٌ واحدةٌ

لمصيرٍ لا يتجزأ

للموت بكل تهاويل خباياه

وكلّ معالمه الذائبةِ بدون حدود
الموتُ الحزنُ
الموتُ الفرحُ
الموت الحزنُ المسرورُ
أو الفرحُ المحزون

* * *

مازال سؤالك يتدلّى من عقلى
يلتف على عنقى
وأنا صامتْ
وأراه برأس آخر
يتلوى فيه جنينٌ أخضرُ
ينمو، يكبرُ
ينشدُّ من الأعماق المظلمةِ
إلى العالم والنور المبهر
لكنْ يصرخْ
فلِمَ يصرخُ وهو يشوف النورَ، الظلَّ،
الشجرَ الباسقَ، والماءَ الجارى،
والجنات من الأعناب؟!

الطفل تحرَّرَ من سجن القوقعة الصغرى
هل يلمح سجناً أكبرَ
يستنجد ببكاءٍ مرٍّ ودموعٍ تترى؟!
لو كان الطفلُ - طرياً - محزوناً يبكى
فلِمَ هذا الفرحُ الملتصقُ بكل حوائطِ حجرتهِ،
بسرير الأمِّ، بلفَّات الطفلِ؟!
ولِمَ تُطْلَقُ أطولُ زغروداتٍ من خلف الباب؟!
ولِمَ غنوا،
وهو الباكى الساخط؟!
لا ندرى!!
لكنَّا نشهد ميلاد الدمعة
والفرحة
فى نفس الومضة
نفسِ الغرفة
نفسِ الأفواه: لأمٍّ
ووليدٍ قد رفَّ دفيئاً
وانسلخَ من الأعماق الآن
فالفرحُ الميلادُ الآتى

والحزنُ. الميلادُ الآتى
والفرحُ: الحزنُ: الميلاد
والموتُ: الحزنُ المسرور

* * *

فلِمَ تسألنى عيناكِ
عن سرِّ الفرحِ الغارقِ فى الأحزانِ
بوجهى
وبنبرةِ صوتى
وبتنهيدة قلبى
وبلمحةِ عينى؟!
لا شئَ هنالك
لا شئَ..!!

* * *

٢٥/٤/٢٠٠٠م

قصائد الديوان

الصفحة

صدر للشاعر

● فى الشعر:

- فصل من التاريخ الخاص (ديوان)، هيئة الكتاب، ١٩٨٩.
- اليوم العاشر (ملحمة)، هيئة الكتاب، ١٩٩٣.
- الميلاد غداً (ديوان)، هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٦.
- مذكرات فلاح (ديوان)، هيئة الكتاب، ١٩٩٩.

● فى الدراسات:

- مع الضاحكين، مكتب أوزوريس، ١٩٩٥.
- ديوان القاهرة، صندوق التنمية الثقافية وهيئة الكتاب، ١٩٩٨.
- المغترب، هيئة الكتاب، ٢٠٠٠.

● وله تحت الطبع:

- السيادة اللغوية.
- حديث النساء.
- .. إلى سلوى.
- الإبداع الجديد وقضايا المجتمع.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٧٨٩ / ٢٠٠٠

I.S.B.N 977 - 01 - 6806 - 8